

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَهْلَكُمُ التَّكْوِيْنُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ ﴿٣﴾ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْمَوْنَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ﴿٥﴾ لَتَرُونَ الْجَحِيْمَ ﴿٦﴾
ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ ﴿٨﴾

من دروس سورة التكاثر

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2021-01-12

عمان

الأردن

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْنَ.
أبها الإخوة الكرام: جئاكم الله تعالى وأسعدكم بكل خير، حديثنا اليوم عن سورة وحديث، السورة هي سورة التكاثر:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
أَهْلَاكُمُ التَّكْوِيْنُ (1)

(سورة التكاثر)

والحديث:

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السُّحَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: (أَهْلَاكُمُ التَّكْوِيْنُ) -[التكاثر:1]- قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَنْتَيْتَ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟! }

(أخرجه الترمذي)



المال مال الله

الإنسان دائماً يقول: هذا المال لي، والمال مال الله، ليس مال الإنسان، لكن الله عز وجل من كرامة الإنسان عليه جعله متمكناً، والإسلام يحترم الملكية الفردية، فأنت عندما يكون لك مالٌ فالإسلام يصون لك مالك، لكن لو جئت إلى حقيقة الأمور فهذا المال ليس لك، وإنما هو مالٌ الله وأنت مستخلفٌ فيه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْعِفُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْعَفُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)

(سورة الحديد)

يدك على المال ليست يد ملكٍ لكنها يدُ أمانة، فينبغي أن تتصرفَ بالمال وفق تعليمات صاحب المال جلَّ جلاله وهو الذي أنعمَ عليك به، فالمالُ في الأصل مالُ الله ونحن مستخلفون فيه، لكن الإنسان يقول: مالي، مالي: هذا لي.

المفهوم الحقيقي للمال



كل شيءٍ تملكه هو مال

وبروي عن أعرابيٍّ أنه سُئِل: لمن هذه الغنم؟ قال: لله تعالى في يدي، أي هي لله ولكنها الآن تحت يدي اتصرفُ بها، متخَيِّبٌ جلَّ جلاله مالِكها_التصرفُ بها، فالأصل أن المال مالُ الله وأنتا مستخلفون فيه لينظرَ الله كيف تعمل، والمال ليس النقد فقط، أي القطع المعدنية والقطع الورقية التي تحملها أو الرصيد الذي نضعه في البنوك، لا، كل شيءٍ تملكه فهو مال، بيتك مال، وجهاز الهاتف في يدك مال، والطعام الذي في بيتك مال، كلُّ ما تملكه فهو مال، فعندما يقولُ ابنُ آدم: مالي! مالي! يقولُ صلى الله عليه وسلم: **(وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا)** ما الذي تملكه أنت من المال؟ قال: **(مَا أَكَلْتُ فَأَقْبَيْتُ)** هذا أخذته، استطعت أن تأخذ من المال طعاماً أكلته فأقْبَيْتُه، انتهى.. قبل قليل تناولتم طعام الغداء، كان على المائدة صنفٌ أو صنفان من الطعام وفنيت، الجسم قام بالاستقلاب وأخذ العناصر الغذائية من الطعام لتتقوَّى بها على طاعة الله وعلى حياتك، والعناصر الأخرى خرجت، هذه أفْينيتها، هذا لك أخذته، قال: **(أَوْ لَيْسَتْ فَأَقْبَيْتُ)** الثياب التي نلِيسها فتتلى وتخلق على كثرة اللبس، هذه مستهلكات، الطعام واللباس مُستهلكاتٌ نستهلكها، قال: **(أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْصَيْتُ)** الصدقة تبقى، يبقى ثوابها، أمصيت يعني أمصيت الصدقة وأخذت ثوابها، وأبغيت يعني بقي ثوابها عند الله، المعنى واحد..

فالإنسان له من ماله هذا أما باقي الرصيد في البنك فليس له، هذا مالُ الورثة كما يقال، أنت لك في الدنيا طعامٌ أكلته وشراؤٌ شربته ولباسٌ ليسته وصدقته دفعتها فبقيت إلى يوم القيامة وبقي أثرها، فلما قرأ صلى الله عليه وسلم **(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)** قال هذا الحديث الشريف، هذا الربط بين الآتية والحديث، قرأ: **(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)** **(قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَقْبَيْتُ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَقْبَيْتُ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْصَيْتُ)** الطعام والشراب واللباس يذهب إلا إن ابغيتَ به وجه الله فيبقى أثره، الصدقة تبقى إلى قيام الساعة؛ يبقى أثرها، لذلك انظروا إلى هذا المعنى الجميل! النبي صلى الله عليه وسلم كان يوزع شاةً، لم يبق شيء منها:

{ عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهُمْ دَبَّحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَقِيَ مِنْهَا؟" قَالَتْ: "مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَيْفُهَا،

قَالَ: "بَقِيَ كُلُّهَا عِبْرَ كَيْفِهَا" }

(رواه الترمذي)

لأن الذي تصدقنا به هو الذي يبقى، أما الكتف فما زال معنا فهو زائل، الصدقة هي التي تبقى، هذا المعنى. يُروى عن بعض السلف أنه أمسك تفاحة في يده فقال: "أكلتها ذهبت أطعمتها بقيت"، لأنه يبقى أجرها عند الله تعالى إذا تصدقت وأطعمت.

اللهو هو أن تشغل عن شيءٍ نفيسٍ بشيءٍ خسيس
أحبابنا الكرام: أريد أن أنتقل إلى سورة التكاثر بالتفصيل يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ (1)

(سورة التكاثر)



الإنسان في أصل فطرته لا يُحِبُّ أن يلهو

ما معنى (الهاكُم)؟ اللهو هو أن تشغل عن شيءٍ نفيسٍ بشيءٍ خسيس، هناك شيءٌ مهمٌ جداً تلتهي عنه وتشغل بشيءٍ يزول ولا يبقى، هذا لهو، الإنسان لا يُحِبُّ أن يلهو، في أصل فطرته وتكوينه لا يُحِبُّ أن يترك الأشياء الباقية، الأشياء الطيبة، الأجر المستمر لا يُحِبُّ أن يتركه ويشغل عنه بشيءٍ خسيس لكن ما الذي يحصل؟ الإنسان عموماً يتعامل بالأشياء الموجودة بين يديه في عالم الشهادة، هكذا معظم الناس يتعاملون بعالم الشهادة، فالآن؛ الآن في هذه اللحظة في هذه الساعة يرى أنه أكثر ما يُمتِعُّ به نفسه أن يستلقي مثلاً، أو أن يتابع شيئاً على الشاشة ولو كان لا يرضي الله، أو أكثر من ذلك أن ينزل ربما إلى الطريق ويُمَتِّعُ عينيه كما يظنُّ بمنظر الغاديات والرائحات مثلاً، فهذا الشيء الحاضر أمامه فينشغل به ويلهو به عن الأشياء الباقية، ينشغل به عن الله، ينشغل به عن الجنة، ينشغل به عن الأبد، هذا معنى اللهو، اللهو أن تلتهي بشيءٍ وتشغل به عن شيءٍ أهمَّ منه.

بريكم إذا كان عندك صورةٌ لك وأنت في عمر السنتين ووالدك أتى لك بلعبة القطار، فأخذ القطار عقلك فجلست وبدأت تحركُ القطار وتصدر أصواتاً من فمك لثعبير عن أن القطار يسير ثم القطار اصطدم بشيءٍ... إلخ.. لو نظر الآن الإنسان إلى نفسه وهو يصنع ذلك وهو بعمر السنتين ألا يضحك من نفسه كيف كان ينشغل بهذا ويلهو به؟! شيءٌ مضحك، الآن ابتك فعله في البيت وتُسَرُّ به لكن أنت لا تفعله، هل يُعقل أن أنشغل بلعبة وأنا أمامي عملٌ وأمامي وأمامي! هذا ما يحصل مع الإنسان بشكل عام يوم يجد أنه انشغل بالدنيا عن الآخرة وانشغل بالمتع الرخيصة عن السعادة الأبدية وانشغل بالأشياء التافهة عن الأشياء العظيمة وانشغل بطلب المتابعات التي لا ترضي الله عن طلب العلم، هذا الذي يحصل، هذا معنى (الهاكُم).

معنى التكاثر



التكاثر لا ينتهي

(الهاكُمُ التَّكَاثُرُ) التهتيم بماذا؟ بالتكاثر، التكاثر بماذا؟ بالمال؟ نعم، بالأولاد؟ نعم، بالبيوت؟ نعم، بالسيارات؟ نعم، بالخدم والحشم؟ نعم، بالهواتف المحمولة والأجهزة اللوحية؟ نعم، أطلق القرآن كلمة التكاثر، لم يقل الهاكُمُ التكاثر بالأولاد، ولم يقل الهاكُمُ التكاثر بالمال، أي شيء تهتمُّ به تريد أن تتكاثر به، ما معنى التكاثر؟ التكاثر هو أن فلاناً عنده بيت مساحته ثلاثمئة متر، أنا أريد أن أشتري بيتاً مساحته أربعمئة متر، فلانٌ عنده سيارة من طراز كذا أريد أن أشتري سيارةً من طراز أحدث منها، فلانٌ هاتفه 8 أريد أن أشتري 9، التكاثر لا ينتهي، الدنيا لا تنتهي بتكاثرها، ربنا عزَّ وجلَّ كريم، والأموال موجودة والأولاد والخدم والبيوت والسيارات، فالإنسان يتكاثر؛ كلما وصل لمكان يسعى للمكان الذي فوقه لكن لا ينتبه أن العمر يمضي وأن ساعة اللقاء تقترب، والدنيا سقفها محدود، مهما تكاثر الإنسان بها، نحن الآن الموجودون في هذه المجموعة الطيبة كلنا بفضل الله عزَّ وجلَّ أفطرنا وتناولنا طعام الغداء وطعام العشاء وسقف يؤوبنا وزوجة.. سقف الدنيا محدود، الإنسان عندما يتكاثر يصحح التكاثر بحجم الرصيد في البنك أكثر منه في الواقع، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ من أصبح مُعَاوَى في يَدَيْهِ، أَمَّأ في بَيْتِهِ، عِنْدَهُ قَوْثٌ يَوْمَهُ فَكأنما جِيَرَتْ لَهُ الدُّنْيَا }

(أخرجه ابن حبان)

انتهى، الباقي كلُّه تكاثر وتفاخر وتباهٍ وتعالٍ على الناس، سجَّل ابنه في المدرسة الفلانية وأنا أريد أن أسجل ابني في مدرسةٍ أفضل من المدرسة الفلانية تُعنى باللغة الأجنبية وتُعطي الشهادات، من باب التكاثر.

لكن الآية الكريمة لا تعني أبداً أن الإنسان لا ينبغي أن يُصلح دنياه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

{ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي،

و اجعل لي الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، و اجعل لي الموتَ راحةً لي من كلِّ شرٍّ }

(أخرجه مسلم)

فنحن نعيش في الدنيا وينبغي أن نُصلحها ما استطعنا لكن لا ينبغي أن نشتغل بها عن الآخرة ولا ينبغي أن نتكاثر بها بمعنى أن نتفاخر على بعضنا بها، فلأن فلاناً جاء بهذا الجهاز فينبغي أن أتى بالجهاز الأعلى منه، هنا المشكلة في التكاثر وفي التفاخر فقال تعالى: **(الهاكُمُ التَّكَاثُرُ)** يعتبُّ علينا ربنا جلَّ جلاله، التهتيم بالتكاثر في الدنيا بالأموال والأولاد وبالمزارع وبالسيارات عن الآخرة.

زيارة المقابر ليست نهايةً للإنسان

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)

(سورة التكاثر)



زيارة المقابر ليست نهاية للإنسان

ما معنى (زُرْتُمْ)؟ الزائر يأتي إلى المكان ليخرج منه، الزائر لا يجلس في المكان، المقابر سنزورها زيارةً ولكن أين موطننا؟ في الجنة إن شاء الله، وأين موطنُ الشاردين عن الله نسأل الله السلامةَ في نارٍ لا ينفذُ عذابها، فالقبر نزوره، قال: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) يذكرنا الله تعالى هنا بلحظة النهاية، نهاية ماذا؟ ليست نهاية الإنسان لأن الإنسان سيخلد، لكن يذكره بنهاية الامتحان، زيارة المقابر ليست نهاية للإنسان لكنها نهاية للامتحان، لأنه بعد أن تدخل القبر انتهى كل شيء، بمجرد الموت انتهى الامتحان، سُجِّت الأوراق، وُحِنَ وقت الحساب، لن نستطيع بعدها أن نُضيف شيئاً إلى رصيدك إلا إن تركت ولدأ صالحاً يدعو لك، أو صدقةً جاريةً يدوم نفعها من بعدك، أو علماً يُنتفع به يشاهده الناس أو يسمعون به فينتفعون به، أما العمل فقد انتهى، لن نستطيع أن نفعل شيئاً عندما تحين ساعة الأجل، ف (زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) هي نهاية الامتحان وليست نهاية الإنسان، الإنسان له حسابٌ وعرضٌ على الله وحنةٌ يدوم نعيمها أو نازٌ لا ينفذُ عذابها نسأل الله العافية، لكن زيارة المقابر تُنهي الامتحان، كتابةً عن الموت، حتى إذا جاءت ساعة الموت أنتهى كل شيء.

الموت في الإسلام

الشيء بالشيء يذكر؛ نحن في جائحة كورونا تحديداً صوّروا لنا الموت بطريقةٍ غير إسلامية، غير شرعية، أريد أن أدخل في العمق قليلاً، الموت في ديننا ليس شيئاً مُرعباً أو مُخيفاً، ليس شيئاً مُقلعاً إلى هذا الحد الذي يُصوّر عليه، أن الإنسان يتوفى! حسناً تلك هي الحياة، نحن هكذا دخلنا على هذا الشرط جئنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّكَ مَبْتُ وَإِنَّهُمْ مَبْتُونَ (30)

(سورة الزمر)



المصيبة ألا نستعدّ للموت

نحن ننتظر موعود الله، نحن جئنا إلى الدنيا ونعلم أننا سنغادرها، هذا الشيء هو حدثٌ طبيعيٌّ مئةً بالمئة، لكن المصيبة ألا نستعدّ له، وليست المصيبة في الموت نفسه، الموت نقطةٌ على الخط، حياتنا مستمرة، الحياة لا تنتهي بالموت لكن عندما تمكّن المجتمع المادي اليوم في نفوس الناس أصبح الموت عبارةً عن وحشٍ كاسرٍ ينتظر الإنسان، إياك أن تموت! نعم نتخذ الأسباب، نتحاط من الأمراض، نعم، هذا من أجل أن نزرعه حتى في أولادنا أحياناً الكرام من الآن، نحن جئنا إلى الدنيا على شرط أننا سنموت وسنغادر، لسنا خالدين فيها، نحن أبناء الآخرة، لسنا أبناء الدنيا، هذه رحلةٌ مؤقتةٌ نتعاون، نتناصح، نُحب بعضنا بعضاً، نعمل، نبني في الدنيا، نَعْمُرُ الأرض بالخير، نتواصل، نتزوج، نُنجب، لكن نحن لسنا في الدنيا في نهاية الآمال ومحطّ الرحال، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا }

اليوم عند معظم القوم وللأسف تسرّب ذلك إلى المسلمين من الحضارة المادية الغربية، اليوم الدنيا عند الكثيرين هي مَبْلَغُ عِلْمِهِمْ وأكبر هَمِّهِمْ، لا أحد يلتفت للآخرة، كل الناس يظنون أن الموت هو فاجعة لأنها ستهي الحياة التي يعيشها، لا يا أخي الموت لن ينهي الحياة التي يعيشها، الموت سننوقف لنتنقل إلى نوع جديد من الحياة أجمل بكثير من الذي نعيشه الآن، سننوقف لنتنقل إلى نوع مختلف تماماً، كمثال: أنت عندك مكان في البيت يلعب فيه الأولاد فقلت لهم: الآن انتهى اللعب في هذا المكان، عندنا مكان آخر سننقل إلى البستان الآن، فقط، فهو انتقال من طبيعة معينة في الحياة فيها كدخ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)

(سورة الإنشاق)

إلى نوع جديد من الحياة فيه راحة وسعادة للمؤمن وعقاب لمن ظلم وطغى وتبى وتبى المُنْتَدَى والمُنْتَهَى، فهو فقط تغيير بطبيعة الحياة وليس نهاية لكل شيء، فرينا تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْهَٰكُمُ النَّكَّاتُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)

(سورة النكاثر)

جاء الموت ولم تستعد له، يا أخي استعد فقط لنتنقل إلى حياة أجمل.
(حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ): زيارة ثم تخرج منها للقاء الله.

الإيمان قبل فوات الأوان

ثم يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3)

(سورة النكاثر)

ما معنى (كَلَّا)؟ (كَلَّا) أداة ردع وزجر، يعني أنت لو سألك إنسان هل أنت جائع؟ تقول: لا، لكن لو قال لك شخص: هل أنت سارق؟ فإنك لا تقول له: لا، بل تقول له: كَلَّا، موسى عليه السلام يوم قال له أصحابه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا ۚ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)

(سورة الشعراء)

كان عنده ثقةٌ عجيبةٌ بالله، مستحيل أن نبيُّ من أنبيائه وسأبلِّغ الرسالة كيف يدركونني؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ كَلَّا ۚ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَتَهِدِّينَ (62)

(سورة الشعراء)

فأنت عندما يكون السؤال يُشكك في ثوابتك تقول: كلا، للردع والزرع قربنا جلَّ جلاله يقول: (كَلَّا) الدنيا ليست للتكاثر، ما جئت بكم يا عبادي إلى الدنيا لتتكاثروا بالأموال والأولاد وبالخدم وبالخدم وبالبيوت والأجهزة ما جئت بكم إلى الدنيا لهذا، أنتم لم تُخلقوا لهذا (كَلَّا) قال: (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) متى يعلم الإنسان؟ عند الموت، (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ).

فرعون طَعَى وَتَعَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)

(سورة النازعات)

وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)

(سورة القصص)

فلما أدركه الغرق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاوَرْنَا يَتِيهِ إِسْرَائِيلَ فَابْتِغِهِمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ ۚ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

(سورة يونس)

فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)



إياك أن تعلم الحقيقة بعد فوات الأوان (الآن) انتهى الامتحان، لقد أمنت بعد فوات الأوان.. طالبٌ دخل إلى الامتحان وجلس على طاولة الامتحان وجاءته الأسئلة فلم يُحسب الجواب أبداً، لم يكتب شيئاً، انتهى الوقت فسحبوا منه الورقة خرج إلى خارج القاعة فتح الكتاب قال: الله أكبر هذا هو الجواب عرفته، انتهى الوقت، لقد عرّفته بعد فوات الأوان كان ينبغي أن تعرفه في الوقت المحدد، فرينا جلّ جلاله يقول: (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) لكن إياك أن تعلم الحقيقة بعد فوات الأوان لأنه إذا جاء الموت انتهى الامتحان، لن تستطيع أن تسجّل أي شيءٍ جديدٍ في ورقة الحياة، سُجِّت الأوراق.

عِلْمٌ آخِرٌ بَعْدَ عِلْمِ الْوَفَاءِ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) (4)

(سورة التكاثر)

(ثُمَّ): حرف عطف يُفيد التراخي، أي هناك علمٌ آخر بعد فترةٍ زمنية، ما هو؟ قال: (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يوم القيامة، العلم الأول عند الوفاة، وهناك علمٌ ثانٍ أشمل يوم القيامة عندما:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)

(سورة المطففين)

ويقول لك الله عزّ وجلّ: يا عبدي فعلت كذا وكذا.. يا عبدي أمرتك فلم تأتمر، نهيتك فلم تنته، نسأل الله السلامة، فهنا ستعلم الحقيقة أكثر من ذي قبل، بأنك التهيت وبأنك تكاثرت وكان معك فرصةٌ عظيمةٌ لتخلّد في جنّ يدوم نعيمها ففوّتها على نفسك أيها الإنسان الشارد عن الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4)

(سورة التكاثر)

(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) عند الموت، (تُمْ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا قامت القيامة.

اليقين هو القَطْعُ

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5)

(سورة التكاثر)



اليقين هو القَطْعُ مئةً بالمئة

إخواننا الكرام: ما اليقين؟ إنه القَطْعُ مئةً بالمئة، وهذا القَطْعُ إما أن يكون عن طريق الحواس، كأن تقول مثلاً: هذا لاقطُ صوت، هذا رأيتُه بعينك هذا قَطْعُ مئةً بالمئة يقين، أو أن تعلم عن طريق الاستدلال، اليقين عن طريق الاستدلال، فتجد جداراً قد خرج من ورائه دخانٌ وتشمُّ رائحة احتراق فتقول: لا دخان بلا نار فتصل إلى اليقين عن طريق الاستدلال، وإما أن تصل إلى اليقين عن طريق الخبر الصادق، كأن يأتي الآن والدك ويقول لك: يا فلان اليوم حصل حادث مروري في ساحة الدوار الرابع، هذا خبرٌ ولكن والدك صادق مئةً بالمئة فوصلت إلى اليقين عن طريق الخبر، هنا قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تُمْ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5)

(سورة التكاثر)

يعني لو تصل إلى اليقين القطعي بأن الله تعالى لم يَخْلُقْكَ للدنيا وإنما خَلَقَكَ للآخرة، ولو تصل إلى اليقين القطعي بأن هناك يوماً ستقف فيه بين يدي الله لِحاسبك على أعمالك، ولو تصل إلى اليقين القطعي بوجود الله ووحدانيته وكماله، هذا علم اليقين ليس فيه شك ولا واحد بالمئة، (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ).

رؤية الجحيم يوم القيامة

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6)

(سورة التكاثر)



المؤمن سيرُ النار ليرى عدل الله

هناك معنيان للعلماء فيها، المعنى الأول: **(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)** يعني أفسم لتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ يوم القيامة، يعني ربنا عزَّ وجلَّ العظيم يقسم بأن الإنسان يوم القيامة سيرى الجحيم، هناك نارٌ قد أعدّها الله لمن طغى وتبى وتبى المتبدي والمُنْتَهى، لمن ظلم عباده ولمن أعرض عن الدين، هناك نار **(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)** ويوم القيامة الكافر سيرها وسيدخل فيها والعياذ بالله والمؤمن سيرُها ليرى عدل الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۖ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (71)

(سورة مريم)

والورود لا يعني أننا ندخلها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102)

(سورة الأنبياء)

في الجنة خلودٌ لا ينقضه شيءٌ لكن ربنا عزَّ وجلَّ شاءت حكمته أن يرى الإنسان - حتى المؤمن- الجحيم يوم القيامة ليرى عدل الله عزَّ وجلَّ وليرى مكانه فيما لو أنه لم يُطع الله فتزداد سعادته بالله وبمكانه من الجنة، ألم يقل تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)

(سورة الصافات)

ثم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا كُنَّا سنرى الجحيم يوم القيامة لكن والعباد بالله الكافرون بالله سيرونها وسيكونون فيها، والمؤمنون سيرونها لكن دون أن يتأثروا ولو بصوتها قال: **(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)**.

رؤية الجحيم في الدنيا



حب الحلال يُريخ النفس.

المعنى الثاني وهو معنى جميل ذكره بعض العلماء: **(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)** في الدنيا عندما يعلم الإنسان علم اليقين بأن طاعته لله هي التي تُنجيه يرى الجحيم في معصية الله (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) في المعصية، فهو في الدنيا يقول لك: والله إن الزنا جحيم، والله إن أكل أموال الناس بالباطل جحيم، والله إن الغش جحيم.. المؤمن عندما يرتقى بإيمانه يقول لك: والله إني لأعجبُ كيف يرضى الناس بالحرام! والله يحرم نفسه من الخير، يحرم النفس من مناجات خالقها، حب الحلال يُريخ النفس، والحرام يحرم الناس من مناجاة خالقهم وبحرمهم من الخير، فترى الجحيم في أي شيء يغضب الله وهو في الدنيا هذا المعنى الثاني.

الفرق بين عِلْمِ الْيَقِينِ و عَيْنِ الْيَقِينِ و حَقِّ الْيَقِينِ

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7)

(سورة التكاثر)

هذه يوم القيامة، ما الفرق بين **(عِلْمِ الْيَقِينِ)** و**(عَيْنِ الْيَقِينِ)**؟ يوجد عندنا في القرآن الكريم: **(عِلْمِ الْيَقِينِ)**، **(عَيْنِ الْيَقِينِ)**، **(حَقِّ الْيَقِينِ)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95)

(سورة الواقعة)

(عِلْمِ الْيَقِينِ): نظرت إلى الجدار وجدت خلفه دخاناً يتصاعد قلت: لا دخان بلا نار، هذا علم اليقين، فسيرت إلى خلف الجدار فرأيت بعينك النار تشتعل هذا **(عَيْنِ الْيَقِينِ)**، نسأل الله السلامة أقتربت منها ووضعت يدك فاحترقت فسحبتّها، هذا **(حَقِّ الْيَقِينِ)**.

المؤمن عنده علم اليقين قبل أن يرى بعينه وقبل أن تمسسه النار يعلم **(عِلْمِ الْيَقِينِ)** فقال: **(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)** سترها بعينك يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

(سورة التكاثر)

انظر إلى هذا الختام بالسورة يترك فكرك يسبح مع السؤال أن هناك سؤالاً يوم القيامة، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْنِي الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَتُرْوَتَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟ }

(رواه الترمذي)

الماء البارد نعيم، عندك ماء بارد في البيت تتنعم به، هذا نعيم، فنحن كم عندنا من النعيم فوق الماء البارد؟ زوجة وأولاد وبيت وسيارة وما لدا وطاب وأنواع ممنوعة من الطعام.

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ: (مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ)؟ قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (وَأَنَا وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا فُومُوا)، فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَبْنُ فُلَانٍ؟) قَالَتْ دَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَتَطَّرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَاقًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرَطْبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَحَدَ الْمُدِّيَّةِ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكَ وَالْخُلُوبَ)، فَدَبَّحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاهِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَسَرَبُوا فَلَمَّا أَنْ سَبَعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: (وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لِنَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمَا هَذَا النَّعِيمُ)

(أخرجه مسلم)



الرزق هو كل ما ننتفع به

هذا نعيم، وكل ما انعم الله به عليك فهو نعيم، أين نعيش نحن؟ نحن نعيش بالنعيم أيها الأحاب، عندنا قوت وبونا ونعلم بأننا سنلقى الله ونصلي ونصوم ونؤدي زكاتنا ونؤدي حقوق الله وعندنا إخوة طيبون، الرزق هو كل ما ننتفع به، مثال: أنت بالشهر عندك خمسمئة دينار، فلانمئة دينار اشترت فيها طعاماً لزوجتك ولأولادك ولنفسك وذهبت في زهوه مع أهلك وأولادك كفتيم، وتصدقت بمبلغ فقير هذا رزقك، الكسب هو الرصيد الذي في البنك هذا سنسأل عنه ولم ننتفع به، فنقول دائماً: اللهم ارزقنا، لأن الكسب سئسأل عنه وربما لا ننتفع به في حياتنا.

{ أَتَيْكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أُخَّرَ {
(أخرجه البخاري)

قدّمت مالك أمامك فسرتك اللحاق به، عملٌ صالح، مساعدهٌ فقير، قدّمته أمامك فسرتك اللحاق به، أما مال وارثك هو المال الذي سيبقى للورثة، لمن بعدك، فالإنسان يُحب ماله أم ماله وارثه؟ يُحب ماله، إذا فليقدّم ماله أمامه بعملٍ صالح، ولو بالإنفاق على الأهل، ليس المطلوب فقط مدّ يد العون للآخرين بالعكس الدينار الذي تُنفقه على بيتك وعلى عيالك هو أحبّ دينارٍ عند الله تعالى أن تُنفقه على أهل بيتك، نعود إلى الحديث الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم عندما قرأ: **(الْهَائِكُمُ النَّكَائِرُ)**:

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: **(الْهَائِكُمُ النَّكَائِرُ)**-[التكاثر:1] قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْتَيْتَ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟! {
(رواه الترمذي)



ينبغي أن يكون المسلم حسناً بين الناس
فالذي يبقى هو ما قدّمته أمامك من مال والذي استهلكته يفتى، لكن يمكن للإنسان أن يجعل من مال يتركه أجراً يبقى ويستمر، بذلك يُحوّل المستهلكات إلى باقيات لأنه يربطها بالآخرة ويربطها بالله ولا يجعلها فقط من أجل أن يأكل ويلبس ومن أجل أن يتفاخر على عباد الله وإذا جلس في مجلس يجاول أن يحرك السترة قليلاً ليري الناس الماركة المسجلة داخلها بأنها من باريس مثلاً!!، ليس هذا هدفه وإنما هدفه أن يلبس ثياباً جميلةً نظيفةً يكسب بها قلوب الناس ويُمثّل فيها المسلم لأن المسلم ينبغي أن يكون حسناً بين الناس، فيحوّل المستهلكات إلى باقيات بالثبّة، بالثبّة الطيبة في الطعام وفي الشراب وفي اللباس، أسأل الله تعالى جلّ جلاله أن يجعلنا من عباده الصالحين وأن يرزقنا الإخلاص واليقين وأن يجعلنا إخوة متحابين فيه.

الصلة بالله والصلة بالمخلوقين

يقول سيدنا عمر رضي الله عن عمر:

ليس في الدنيا والله إلا صلاةٌ تُحسبها بين يدي الله أو إخوةٌ طيبون تلتقي بهم فتشقي معهم الكلام الحسن كما يتّقي أكل الثمر أطايه وإلا فالدنيا فانيةٌ لكن يبقى منها صلّةٌ بالله وإحسان للمخلوقين، حركة بالصلة نحو الخالق، وحركة نحو المخلوق بالإحسان هذا معنى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ (55)

(سورة المائدة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2)

(سورة الكوثر)

النحر من أجل أن تذيب الأضاحي وتقدمها للناس، فتحسين صلتك بالخالق وتحسين صلتك بالمخلوق، حركة أفقية وحركة عمودية هذه هي الحياة صلُّ بالخالق وإحساناً إلى المخلوقين.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من محبيني الصلة به ومن محبيني الصلة بعباده وأن يرزقنا وإياكم رزقاً حلالاً طيباً لنستخدمه في طاعة الله وأن يوسّع علينا وأن يجعل نعم الدنيا متصلةً بنعم الآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قورد الدين الاسلامي